المبرات الاجتماعية

لصاحب العزة محمد عبد العزيز طلعت حرب بك

المبرات الاجتماعية مؤسسات قصد بها منفعة الطبقات الشعبية المحرومة ورفع مستواها على أساس اجتماعي صحيح ، والدافع الأساسي لهذا المشروع هو ما لوحظ من أن الأحياء الشعبية وما كنيها في حاجة ماسة الى الاصلاح الاجتماعي من جميع نواحيه ، وليس هناك من سبيل إلى الوصول الى تلك الغاية إلا بانشاء مؤسسة اجتماعية في كل من تلك الأحياء تكون مركزا تبعث منها فكرة الاصلاح وتعمل على نشر وسائله .

وهذه المؤسسة يجب أن تضم بين دفتيها كل الخدمات الاجتماعية التي يمكن أن تؤدى الى خدمة العائلة في مجموعها ، والعائلة ما هي الا الوالدين وأبنائهما من بنين وبنات ، فإذا تمكن المهيمنون على مثل هذه المؤسسات أن يرسموا بخطوط واضحة ويضعوا برامج محددة لخدمة كل فرد من العائلة خدمة أساسها الدراية الفنية ويقوم بها اخصائيون — اذا أمكن ذلك نجحت تلك المؤسسة نجاحا يعود بالفائدة المرجوة لكل من يتصل ويأخذ بها ، وأدت الرسالة التي قامت لتحقيقها .

ولنعد الآن الى العائلة وتكوينها : فأساسها الوالدان وفروعها الأبناء والبنات ، فالخدمات التي تؤدى للوالد يجب أن تكون من الخدمات الوقائية ، وللأبناء والبنات خدمات شافية إنشائية .

ومهما حاولنا أن نعبر بشتى الأساليب عن أمراضنا الاجتماعية فلا بد من أن نعود الى تلك السلسلة المشئومة "الفقر والمرض والجهل" فعلينا أن نجعلها أساسا لعملنا الاجتماعي وأن يكون هدفنا هو القضاء عليها ومحو تلك الوصمة التي تسم نهضتنا القومية والاجتماعية ، ولتكن هذه المبادىء أساسا للعمل :

أولا — توفير الغذاء الصحي للأمهات وأطفالهم وارشادهم الى نوع التغذية الصالحة .

ثانيا — العناية بعلاج الأحداث وأسرهم ووقايتهم من الأمراض .

ثالثا — تهيئة الوسائل لنظافة هذه الطبقات وارشادها الى تحقيق هذه الغاية .

رابعا — مكافحة الأمية .

خامسا — نشر التربية البدنية الشعبية وبث الروح الرياضي .

سادسا — السعي في تدبير عمل لذوي المقدرة على العمل .

ويجمع تحقيق هذه المبادىء بين المشروعات الواقية والخدمات الاجتماعية الشافية والمساعدات المؤقتة والخدمات الانشائية .

ونتيجة لذلك يتحتم أن تنشأ من المؤسسات ما يناسب وهذه المبادىء .

فهؤلاء الأحداث المنبوذون فى الأزقة والشوارع ، يهيمون على وجوههم .. ما خطبهم ؟ وما الدوافع التى أدت الى تلك الحال ؟ لا شك أنها الدوافع العائلية وعدم الاستقرار فى البيئة المنزلية .

وقد وجد الاخصائيون الاجتماعيون أن نادى الاطفال هى أولى المؤسسات الوقائية ضد تشرد الاحداث وإجرامهم .

فأندية الأطفال فى الواقع هى مؤسسات الغرض منها أن يبتعدوا عما يؤثر فى طفولتهم البريئة ويقربهم الى ما يقوم اعوجاجهم ويصلح من أمورهم ، والمبدأ الاجتماعى القويم هو أن لا ينزع هؤلاء الأحداث من بيئتهم ، مع العمل على صلاحية تلك البيئة والحدث ، فما الخدمة الاجتماعية الا تلك المجهودات التى تبذل لإيجاد التوازن بين الطبقات وتحقيق الانسجام بين الفرد أو العائلة وبين البيئة حتى تسير الحياة مرتبة منسقة لا شذوذ فيها ولا اضطراب .

وفى أندية الأطفال هذه يقسم الأولاد الى أقسام ، يطلق على كل قسم "أسرة" دلالة على ما تنطوى عليه الأسرة من معانى التعاون والود والألفة ، ولكل أسرة نشاطها الخاص واجتماعاتها الخاصة ، والغرض الأسامى من هذا التقسيم هو أن يشعر الأولاد بشعور الولاء والتعاون بينهم ، وايجاد التنافس البريء بين تلك الأسر ، وأن يشعر الجميع أن عليهم واجبا أساسيا هو رفع مستوى الجماعة مع أعطاء الفرد حقه بعد أن يؤدى واجبه المفروض عليه ، فيشعر باستقلاله وشخصيته وكرامته و ينشأ مواطنا صالحا نافعا لنفسه وأسرته وبلده ، كل ذلك يقوم على أساس اجتماعى يلائم البيئة الشعبية التى نشأ فيها هؤلاء الأولاد .

ولا بد ان يشرف على الأندية إخصائيون ، كل فى الناحية التى تخصص فيها ، فالناحية الاجتماعية يجب أن يشرف عليها إخصائيون اجتماعيون ، والناحية الرياضية إخصائيون رياضيون ، والنواحى الطبية والتعليمية والموسيقية والتمثيلية والصناعية إخصائيون فيها .

كما يجب أن تقوم معاملة هؤلاء الأولاد وهم أعضاء النادى على الأساس الفردى لا على الأساس الجمعى . فهذه المحاضرات والنصائح والتعليمات لا قيمة لها عندهم ، إنما المعاملة الفردية وما يلقاه كل منهم من توجيه وإرشاد خاص هو الأساس الذى يجب أن يؤخذ العضو به . فاذا ما اندمج فى أسرته ونمت فيه روح الجماعة والتعاون وتدرج مع زملائه ابتدأ شعوره بالتضامن والتعاون ينمو شيئا فشيئا ، فيشمل أولا هذه الأسرة البسيطة ثم بقية الأسر ، ثم فى النهاية إلى العالم الخارجى عن ناديه .

ومن ثم يجب أن يكون لكل عضو فى أندية الأطفال ملف خاص يدون الأخصائى الاجتماعى به كل ما وقف عليه نتيجة لتكرار زيارته فى منزله وفى محل عمله واتصاله بعائلته اتصالا مباشرا مستمرا، وهذه البيانات تؤدى دون شك إلى تكوين رأى ناضج وفكرة واضحة عن الولد وبيئته وتكون أساسا للتصرفات التى تتخذ نحوه فى مختلف الظروف .

أما الاخصائيون الرياضيون فيعمدون الى الناحية الرياضية فيتخذونها وسيلة لتقوية الجسم والروح والنفس والعقل وغرس العادات الحميدة فى نفوسهم منذ الصغر ، كضبط النفس والطاعة واحترام النظام وتنمية روح التعاون والجماعة بينهم ، كما أنهم يصلون عن اقتباس كثير من الألعاب الشعبية ويضعونها فى قالب نظامى حديث ويلقنونها للأولاد فلا يشعرون أنهم قد ابتعدوا عن وسطهم وألعابهم ، وفى الوقت نفسه يختارون لهم الألعاب التى تناسب ونموهم فيكون لها أحسن الأثر فيهم .

أما من الناحية الطبية فى هذه الأندية فيجب أن تخضع لنظام طبى دقيق فلا يقبل عضو الا بعد الكشف الطبى عليه ، وتوجيهه وعلاجه ان كان ثمة ما يمنع قبوله ، ثم تستمر الرعاية الطبية وتدون الملاحظات أولا بأول فى الملف الخاص به .

وكذلك يجب أن يراعى المشرفون على تلك الأندية امداد هؤلاء الأطفال بوجبة بسيطة قبيل انصرافهم يراعى فى تكوينها أن تشمل العناصر المغذية والتى لا تتوافر لهم فى حياتهم العادية ، كما يستحمون يوميا وتصرف لهم المواد اللازمة لذلك .

ولكى تصان للعضو كرامته وشخصيته ويشعر بأنه يساهم فيما يقدم له من خدمات ، يدفع اشتراكا شهريا يقدر له المشرفون قيمة اسمية .

ولعلنا قد أطلنا الحديث عن أندية الأطفال ، والواقع أنها حجر الزاوية فى الخدمة الاجتماعية ، اذ أن الأحداث هم الأصل ، ومتى شببوا على سلامة العقل والجسم والروح ، خلق جيل جديد تفخر به البلاد .

ولنتدرج مع هؤلاء الأطفال فى أنديتهم ، فهاهم قد شبوا عن الطوق ودخلوا طور الشباب ، فمن الواجب إذن أن تهيأ لهم أماكن خاصة لرعايتهم ، فى هذه المرحلة الجديدة — مرحلة الشباب — بعد أن شملتهم الرعاية فى طفولتهم ، والأسس التى تسير عليها أندية الشباب هى نفس الأسس التى تسير عليها أندية الأطفال مع إجراء التعديل والتبديل المناسب لسن وثقافة هؤلاء الشباب .

فلنترك الأحداث فى أنديتهم يلعبون ويسيرون فى طريقهم حتى يصلوا الى طور الشباب فيتحقون بأندية الشبان ، ولنلتفت الى بقية أفراد الأسرة وهم البنات والوالدين .

أما البنات فالأحرى أن يهيأ لهن مورد للكسب الشريف ، ولا يتأتى ذلك الا بتعليمهن صناعة يكتسبن منها وأنسب الصناعات لهن الحياكة والتفصيل والتطريز ، فقد كن

مشاغل تتلقين أصول تلك المهن مع رعايتهن رعاية اجتماعية شاملة ، ويقوم على هؤلاء الفتيات مدرسات متخصصات فى الفنون الطرزية والتدبير المنزلى والمعلومات العامة ، مع تلقينهن اختصاصيات اجتماعيات ، وتلحق الفتاة بالمشغل فتجد نفسها محاطة بتلك الرعاية ، الاجتماعية والتعليمية والطبية ، حتى اذا ما تمكنت من الانتاج تقاضت عما تنتجه أجرا ، يسلم لها جزء منه للتيسير عليها وأودع لحسابها ما تبقى ، وعندما تصبح قادرة على الاستقلال بحاجتها المشغل ووضع ما ادخرته فى خدمتها ليكون لها خير عون فى حياتها الخاصة .

ثم يبقى أمامنا من أفراد العائلة إلا الوالدين ، فالمرضى لهم من المؤسسات ما يساعدهم حتى تقضاء حياتهم فى ظل من الرعاية والراحة ، فهذه حمامات ومغاسل شعبية يرتادونها دون حتى فى وتتوفر لهم فيها سبل النظافة والصحة ، ثم يجد القادرون على العمل منهم فى الاخصائى الاجتماعى خير عون على توجيههم ومساعدتهم .

وبهذا مطعم اجتماعى غرضه تحسين التغذية الشعبية يختار العائلات الأشد حرمانا ، فيقرر الاخصائى الاجتماعى بعد البحث الاجتماعى الشامل عدد الوجبات التى تصرف لها يوميا ستطيع فى منازلهم ، وتدفع العائلة عن هذه الوجبات قيمة اسمية ليس الغرض منها الحصول على ربح بل الغرض اجتماعى بحت ، اذ يرمى الى بث روح الثقة فى نفوسهم مع رفع كابوس الاستجداء عن أكتافهم ، وافهامهم أن الغرض هو مساعدتهم لا الاحسان اليهم ، ولذلك يعمد الاخصائى الاجتماعى الى تتبع حالات هؤلاء الأسر وتيسير سبل العمل للقادرين منهم حتى يصلوا الى حالة يتمكنون فيها من الاستغناء عن هذه الوجبات فتصرف لغيرهم من المحتاجين .

وبذلك تمت الحلقات المتصلة والمكونة للأسرة : الأحداث ، فالشبان ، فالفتيات ، فالمتزوجين — وما أحرى هذه الخدمات الاجتماعية أن تضمها كلها مؤسسة واحدة هى "المديرية الاجتماعية" ، فهى برنامج لا ينقطع ، قائم على أسس اجتماعية صحيحة .

وقد سبق أن وضعت وزارة الشؤون الاجتماعية عند انشائها عام ١٩٣٩ مشروعا يقضى بانشاء خمسة مؤسسات من هذا النوع كل عام فى الأحياء الشعبية المختلفة ، فلو عادت الى تنفيذ هذا المشروع ووكلت أمر كل مؤسسة تنشئها من هذا النوع الى هيئة اجتماعية أهلية تتوفر على ادارتها تحت اشراف الوزارة ذاتها ، كما هو الحال فى المبرات التى تديرها الجمعية المصرية للتعاون الاجتماعى .

هذه هى المبرات الاجتماعية التى أرجو أن يعمل رجال الخدمة الاجتماعية والمشتغلون بها على نشرها فى الأحياء الشعبية المحرومة ، ويومها يكونون قد أدوا أكبر خدمة لبلادهم التى هى فى أشد الحاجة الى مثل هذه المشروعات ، ويكونون قد أرضوا ضمائرهم ووطنهم ومليكهم .